

المرأة السامرية

دروس وفضائل

مقدمة

إن كما لا تقرأ عن معجزات صنعها الرب يسوع في السامرة
باستثناء الرجل السامري الذي كان واحد من العشرة الرجال
البرص الذين أتوا إلى الرب يسوع ووقفوا من بعيد ورفعوا صوتاً
قائلين "يا يسوع يا معلم ارحمنا". هذا الذي لما رأى أنه شفي
رجع يمجّد الله بصوت عظيم. وخر عند رجليه شاكرًا له
(لو 17: 11-18). لكننا نقرأ عن أروع وأعظم المعجزات

التي لا يصنعها آخر سواه، ألا وهي تغيير القلوب الفاسدة إلى
قلوب جديدة، تغيير الحياة بحملتها من حال إلى حال، من
النجاسة إلى القداسة، ومن الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى
الحياة، ومن البؤس والشقاء إلى الراحة والرجاء، ومن العطش
والجوع إلى الارتواء والشبع .

لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ كل إنسان إذا قتش في ذاته
سوف يجد خطأ أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة حتى كل آباءنا
القدسين لم يوجد منهم من أستطاع أن يقول أنا ليس عندي
خطية وفي آخر لحظة من لحظات حياتهم يصرخون بدموع وتوبة
فأنا أتذكر عبارة في البستان كل ما أقرأها أتوقف أمامها في
ذهول حيث تقابل سائح مع سائح في برية سيناء يسأله فيما

هو الخلاص؟ سائح وصل لأعلى الدرجات وهى السياحة
ومازال يسأل أين الخلاص ؟ فقد شهد أن هناك خطأ عليه
أن يتخلص منها ، هذا الشعور يصل به الإنسان للخلاص والمجد
إذا نظر بحب إلى الآب وإلى المسيح أما إذا نظر إلى خطاياه
وذااته سوف يملكه اليأس ومن الجائز ان يضع .

قصة المرأة السامرية تمس مشاعر فئة كبيرة من الناس وتُفرح فئة
أكبر حيث يجد الإنسان الخاطئ فى قصة توبة السامرية مصدر
عزاء له . الإنسان الخاطئ البعيد عن الله يكشف فى حياتها
حب المخلص للنفس الخاطئة وكيمسعى الله من أجل رجوع
النفس الضالة .

أن الله من محبته يسعى لكي يخلص الإنسان المتمسك ولو يجرء
بسيط جداً من الفضائل رغم كل الشرور وكل الخطية ، سوف
نري أن لا تنازل عن تلك الفضائل حتى مع وجود الأخطاء لأن
من أجل تلك الفضائل التي نطن أنها بسيطة سوف يرحمنا الله
من ضعفاتنا التي تثق أنها عظيمة . ورغم أن الله يسعى دائماً
من أجل توبة كل إنسان نجده بالأولي يسعى للإنسان ويقبله إذا
وجد عنده استعداد . الله لكي يسعى ويعمل يكفيه فقط
وجود بذرة حب الفضائل وحب الخير في النفس ، إذا وجدت
يقول الكتاب المقدس "قتيلة مدخنة لا يطفئها" .

الذين يسعون نحو التوبة سوف يجدون في قصة التوبة هذه
السيد المسيح الذي يعطش لنفوسهم ، ويتعب من أجل توبتهم

،ولا يجرح مشاعرهم ،القادر علي العمل معهم وبهم لكي يحول
نفوسهم المحطمة المختقة إلي نفوس قوية قادرة علي الشهادة
للمسيح وجذب نفوس الآخرين .

ليس فقط الخطاة الذين يحدون فرحهم وتعزيتهم في قصة التوبة
هذه ، بل أيضاً الخدام الذين سوف يرون في السيد المسيح
النموذج والمثل الأعلى في الخدمة ، السيد المسيح المشجع
والمشوق والمتضع العميق الذي يتعب من أجل الخدمة .

إله السماء والأرض الضابط والقادر علي شئ قادر أن يغير
نفوسنا الضعيفة إلي نفوس قوية قادرة علي الشهادة للمسيح من
خلال توبتها الحقيقية وتركها للخطية بشفاعة القديسة العذراء

مريم التي أصبحت السامرية بتوبتها ابنة لها ، وشفاعة الملائكة

ورؤساء الملائكة الذين فرحوا بتوبة السامرية ، وبصلوات أنبا

أبرآم شفيع إِبَارَشِيَةِ الفيوم ، وكافة الأبرار والصديقين وبصلوات

رئيس الأساقفة قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس بابا

وبطريك الكرازة المرقسية . الله قادر أن يديم لنا وعلينا

حياته سنيناً سلامية وأزمنة هادئة مديدة

أبرآم

أسقف الفيوم

تاريخ السامرة

أولاً : الموقع الجغرافي

تقع مدينة السامرة في وسط فلسطين شمالي اورشليم وجنوبي الجليل لذا كان لابد أن يمر بها السيد المسيح عند ذهابه من الجليل إلى اورشليم أو العكس (يو 4) . وإن كان اليهود يتجنبون المرور بها ويسرون في طريق جانبية ثل يلتقوا السامريين (متى 10: 5 - 6) .

ثانياً : تاريخ الخلاف .

بداية بناء مدينة السامرة يرجع إلى الملك عمري (1 مل :

16) .

وقد خلف عمري ابنه أخاب الملك زوج إيزابيل ، ومنذ ذلك
الحين ومدينة " السامرة " عاصمة لمملكة إسرائيل المنفصلة عن
مملكة يهوذا من أيام رحبعام ابن داود النبي . .

تطور الخلاف عندما أتى ملك آشور واحتل أورشليم
والسامرة وجاء بأناس من الأمم وسكنوا السامرة (2مل
17) .

منذ ذلك الحين اليهود يعتبرون السامرة شعباً نجساً لأنهم مزيج
من الأمم مع اليهود الذين اختلطوا ضمن السبي الآشوري في
سنة 722 قبل الميلاد

عُرف السامريين بعدائهم لليهود منذ ذلك الحين خاصة بسبب
نبذ السامريين لأسفار الكتاب المقدس ماعدا الاسفار الخمسة
الاولى فكان اهل السامرة يؤمنون بالاسفار الخمسة الاولى و
يرفضون الايمان بالانبياء و الكتابات التاريخية. كما أن
السامريين جعلوا مركز العبادة في السامرة و اليهود جعلوا مركز
العبادة باورشليم.

في أيام نحميا النبي نري السامريين يعادون نحميا وبناء أورشليم
حيث زاد الخلاف والعداء [نح 4 : 2]

زادت حدة الخلاف عندما دمر يوحنا هركانوس المكابي
هيكل السامريين مرتين على قمة جبل جرزيم، في نهاية القرن

الثاني قبل الميلاد، في عهد المكابيين، سنة 128 ق.م. وفي

عام 107 ق.م. (1 مكابيين 3 : 10)

ثالثاً : جبل السامرة .

المقصود هنا هو جبل " جرزيم " وهو جبل البركة (تث 11

: 29) . ويقع في وسط ارض السامرة بالقرب من شكيم

جنوبي شرقي مدينة السامرة، ويبلغ ارتفاع جبل جرزيم

2849 قدما فوق سطح البحر، ويقل ارتفاعه عن جبل

عيبال المقابل له بنحو 228 قدما .

وقد كان مركزاً لعبادة السامريين . يعتقد السامريون أنه على

هذا الجبل قدم إبراهيم اسحق ابنه ذبيحة .

وعلى راس جبل جرزيم وقف يوثام بن جدعون ونادى أهل
شكيم وقص عليهم مثل الأشجار المعروف (قض 9 : 7) .
ويسمى جبل جرزيم حالياً بجبل الطور .

رابعاً (مدينة سوخار)

يقول يوساببوس المؤرخ المعروف أن سوخار هذه واقعة تجاه
"نيابوليس" - ومعناها المدينة الجديدة - التي هي شكيم،
موضع نابلس الحالية. وقد ورد ذكرها مراراً في التلمود . وهي
حالياً مدينة " خربة عسكر " بفلسطين .

خامساً : بئر أبينا يعقوب

أما عن بُر يعقوب وهذا يرجع بنا إلى سفر التكوين عندما جاء
أبينا يعقوب، وبني فيها مذبحاً وحفر بُر وابتاع قطعة حقل
نصب فيها خيمته (تك 33 : 18) ، .

وتقع بُر يعقوب شرق مدينة نابلس، ولاحقاً بنت الملكة هيلانة
والدالة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين كنيسة كبيرة فخمة (بعرض
25 متراً وطول 43 متراً) فوق هذا البُـر في القرن الرابع
للميلاد . وزين الإمبراطور جوستنيان الكنيسة بالزخارف

وفي الوقت الحالي توجد كنيسة مبنية علي البُـر ويُشرف عليها
طائفة الروم الأرثوذكس من اليونان .

اسم السامرية

تقول بعض التقاليد القديمة أن اسم المرأة باليوناني "فوتينا أو

فوتيني". وباللاتينية "كلار" والمعني العربي "منيرة"

الكتاب المقدس لم يذكر اسم المرأة السامرية كما لم يذكر اسم

المرأة التي جاءت في بيت سمعان الفريسي أو تلك التي امسكها

اليهود ليرجموها ،السيد المسيح محب للخطاة لا يرغب في

التشهير بهم بل دائماً ما يستر عليهم ويعدهم بأنهم سيبييضون

كالثلج وتصير طهارتهم كالصوف النقي .

الرب يسوع لم يأت ليفضح البشر وشرهم، لكنه جاء لكي يطلب ويخلص (لو9: 56، 19: 10). وأيضا لكي يستر الخطايا على أساس عمله الكفاري على الصليب (رو3: 25، 1يو1: 7).

ولم يذكر اسمها أيضا لكي يضع كل واحد منا اسمه في هذه القصة لأنها قصة كل واحد منا .

الله المحب ليس فقط يدافع عن الخاطئ التائب مثلما فعل أمام مضيفه سمعان ، ولا يكتفي فقط بأن يطرد القائمين عليه كما فعل مع المرأة المسككة في ذات الفعل ، بل أيضاً يجعل منه خادماً شاهداً له كما فعل هنا عند البر .

صفات السامرية

يمكننا أن نستنتج صفات السامرية الشخصية من خلال حوارها مع السيد المسيح فيما يلي :

1 - أنها كانت على الأغلب امرأة فقيرة فالاستقاء من الآبار أمر لم تكن تلجأ إليه إلا الفقيرات أو الخادמות أو الأجيريات أو الأماء، ويذهب بعضهم إلى أن هذه المرأة كانت تستقي لبعض الزراع في الحقول المجاورة.

2 - ويظن أيضاً أنها كانت على مسحة كبيرة من الجمال
يسرت لها سبيل الاقتران بخمسة أزواج، والمعيشة مع رجل
آخر غير شرعي .

3 - وهي أيضاً مقتدرة القول، قوية المنطق، لسنة الحديث،
تحسن الحوار والتخلص والمداواة والمواجهة، وهذا يبدو جلياً
في حديثها مع المسيح وأهل بلدتها . كما أنها كان علي جانب
كبير من الذكاء وسرعة البديهة فقد عرفت السيد المسيح أنه
يهودي بسبب قوة ملاحظتها ربما من ملبسه، أو ربما من طريقة
نطقه للكلام .

4 - كما أنها قوية الاعتداد بشعبها وجنسها، تفهم دقة العلاقات بين اليهود والسامريين، وموطن الخلاف بينهم، ومن حوارها مع المسيح نفهم أنها سامرية أصيلة، تشربت روح قومها في معاملتهم لليهود: «كيف تطلب مني لتشرب، وأنت رجل يهودي وأنا امرأة سامرية» «ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا...» «آبآؤنا» .

5 - غير أن ما يدهشنا في هذه المرأة هو اطلاعها الديني الواسع، الاطلاع الذي جعلها تسأل المسيح عن مكان العبادة الحقيقية أهو على جبل جرزيم جبل البركة أم في أورشليم.

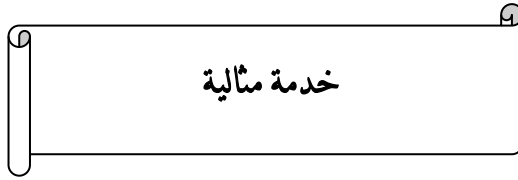
نظرة طقسية

إنجيل السامرية يُقرأ في الأحد الرابع من الصوم المقدس بعد فصل الابن الضال الخاص بالأسبوع الثالث ، لأن فترة الصوم المقدس هي فترة توبة .

الكنيسة بفصول أناجيلها علي مدار الصوم تعلمنا أن لا نياس مهما تكون ضيقاتنا وضعفاتنا بل علينا أن ننظر إلى محبة الله فلو نظرنا إلى قراءات هذا الصوم بدءاً من أول التجربة وحتى الابن الضال تقول لو مرت علينا تجارب لا نياس فمحبة الله كبيرة ، ولو نحن في مرحلة تالية كما في الابن الضال فالأمل كبير

وقوى ،ولو وصلنا إلى مرحلة أصعب كما في السامرة فالأمل
أيضا كبير ولو أنت محطم كما في حالة المفلوج أيضا لا تيأس
ولو الشيطان أعمى الإنسان عن وصايا الله كما هو في المولود
أعمى هناك أمل ورجاء حي نستطيع به ان ندخل مع السيد
المسيح منتصرين ونفرح بالقيامة بالمسيح يحبنا ومن أجلمحبته
قدم لنا الفداء والخلاص ومستعد أن يصل إلى كل إنسان ليتنا
تأمل في محبة الله في بيوتنا وقلوبنا .
الكنيسة هنا ترغب في ان تعرفنا حب الله لنا .
فالمسيح يحبنا ومن أجلنا قدم الفداء وقدم الخلاص لكل إنسان
ومستعد أن يقبل كل إنسان تائب ويساعده علي القيام من
ضعفاته . وهناك تأمل يقول أن الأحد الرابع من الصوم المقدس

دائماً ما يقع في شهر برمهات،الذي يكون فيه الحصاد للزراعة
ولذلك يتحقق في هذا الفصل كلام المسيح له المجد ارفعوا
أعينكم لأن الحقول قد ابيضت للحصاد .



السيد المسيح الله الكلمة المتجسد أظهر لنا المثالية في كل أمور
حياتنا الروحية ومن بين تلك الأمور الخدمة وما ينبغي أن يكون

عليه الخادم من محبة وتواضع وبذل وحكمة . ومن أفضل
مواقف السيد المسيح التي يمكن أن تتعلم منها كخادم موقفه من
السامرية وكيف تعامل معها وكيف أدار الحوار معها وكيف
جذبها للتوبة والخلاص والكرامة .

تتعلم من السيد المسيح أثناء تعامله مع السامرية ما يجب أن
يكون عليه الخادم فقد اتصف السيد المسيح في هذه القصة
بالصفات الآتية :

أولاً : خادم محب .

كل من قرأ قصة المرأة السامرية مؤكداً أحس حرارة محبة السيد
المسيح وقوتها، خاصة إذا علمنا كم كان اليهودي يحقر المرأة

ويمتتها إلى حد بعيد !! . . . وكان عارا عليه أن يحياها في
شارع أو مكان عام، حتى ولو كانت أخته أو أمه أو زوجته
أو اتصل به بأي سبب قوي . . . بل كان يقول أحرق الشريعة ولا
تعلمها لامرأة، بل وفي صلاة اليهود الصباحية، يقف الرجل
مصلياً في الهيكل قائلاً: "أبارك اسمك أيها الرب خالق العالمين،
لأنك خلقتني يهودياً لا أئمياً . وحرراً لا عبداً . ورجلاً لا
امراًة". وكان بين اليهود بعض من الفريسيين يدعون «الفريسيين
الدائمين» وهذا نسبة لأنهم كانوا يضربون رؤسهم حتى تدمي،
في أقرب حائط، تكفيراً لهم عن رؤية أية امرأة يتفق أن تقع
أبصارهم عليها، ولهذا لا ندهش لتعجب التلاميذ حين رأوا
المسيح يكلم هذه المرأة، ومما زاد عجبهم، أنها سامرية والعلاقة

كما قلنا كانت شديدة التوتر بين اليهود والسامريين، حتى أن اليهودي كان يتقاضي السامرة في طريقه بين الجليل واليهودية، بعبور الأردن، إذ يسير على ضفته الشرقية .

أضف إلي ذلك حالة المرأة الروحية التي وإن لم تناسب مع قداسة السيد المسيح ولكنه من أجل محبته لها تكلف كل هذا التعب ، السيد المسيح لم تكلفه محبته للنفس البشرية فقط السير والجوع والعطش بل كلفته محبته حتي الصليب والألم .

السيد المسيح كان فاتحاً أحضان محبته لهذه المرأة السامرية وهو دائماً فاتحاً قلبه ينتظر بل هو الواقف علي قلب كل إنسان يقرع لعله يفتح ، وهكذا نلاحظ في قصة توبة هذه القديسة

السامرية فالسيد المسيح من محبته لها هو الذي ذهب إليها ،
كما أنه نزل من علو سماه لكل نفس طالباً جذبها إلى حياة
أفضل .

السيد المسيح في محبته يعمل في كل إنسان تحت كل الظروف .
أنه يعمل مع من يأتون بها إليه يريدون رجماً وقد أمسكت في
ذات الفعل . ويعمل أيضاً مع من أتت إليه بنفسها مثل المرأة
الخاطئة في بيت سمعان ، كما يفعل أيضاً مع تلك المرأة السامرية
التي تقابلت معه وإن كان هو أي السيد المسيح هو الذي قطع
مسافة أكثر طولاً وتعباً .

محبة الخادم تُقاس بمدى تعبته من أجل الخدمة والمخدومين ، كما
قال بولس الرسول " لا نحب بالكلام بل بالعمل والحق " .

هل يمكننا أن نصل إلى محبة السيد المسيح كخادم وأن تكون
الخدمة ومحبة المخدومين وخلص أنفسهم طعامنا اليومي بأن
ننسى ونفني أنفسنا من أجل تكميم مشيئة الله الذي يريد أن
جميع الناس يخلصون وإلي معرفة الحق يقبلون .

إن كان السيد المسيح يوصينا بأن تعب ونسير ميلين عوضاً
عن الميل الواحد وذلك لمسخرينا فكم يجب أن يكون تعبنا في
حقل وبيت الرب من أجل خلاص النفوس .

السيد المسيح تظهر محبته كخادم في أنه لم يحاول جرح مشاعر
السامرية وكان مؤدباً جداً فى حديثه مع المرأة السامرية بالرغم
من أنه يعرف أن الذي معها ليس زوجها لكنه فى رقة وفى
لطف قال لها "اذهبي وأدعى زوجك " لم يريد أن يجرح
مشاعرها لمحبته لها .

ليتنا نتعلم هذا الدرس من السيد المسيح ، كم مرة نجرح
مشاعر الآخرين ونجرحهم بإهانة شديدة جداً، لكن السيد
المسيح بالرغم من أن خطايانا مكشوفة قدامه لكن يبستر
عليها ويبستر على مشاعرها .

ثانياً : الخدمة الفردية

لقد قضى السيد ما يقرب من 6 ساعات ماشياً على قدميه
إلى أن وصل إلى سوخار، حيث تقابل مع المرأة السامرية، وكان
يمكن أن يقضي المسيح هذه الساعات في تعليم الآلاف من
الناس، ولكن الله يهتم بالفرد الواحد كما يهتم بألف فرد حتى
لو كان هذا الفرد إنساناً خاطئاً مرفوضاً.

ليتنا نتعلم ألا نحتقر أي إنسان حتى وإن كان هذا الإنسان
غريباً ليس من عشيرتنا ولا من جنسنا أو من ديننا؛ حتى لو
كان وثنياً خاطئاً ونجساً. مَنْ يدري؟ ربما يكون الذي نحتقره
الآن بسبب خطيته هو القديس موسى الأسود فيما بعد، أو قد
يكون اللص اليمين الذي كان أول مَنْ دخل الفردوس. ليت هذا
يكون أسلوب كل خادم في خدمته.

يا رب، إن لم يكن لي جهد وشوق أن آتي إليك مع
نيقوديموس، لأن الخطية قد أنهكت قوتي وأظلمت عقلي
وضميري عن أن يعرفك، تعال أنت، أيها الرب يسوع، كما أتيت
إلى المرأة السامرية، وأضرم محبتك في قلبي .

ثالثاً : خادم حكيم .

السيد المسيح صاحب كوز الحكمة عالج المرأة بحكمته...
ولم يكن المسيح محباً للسامرية فحسب، بل كان حكيماً جداً
معه، ومع أنه كان يعلم كل ماضيها، إلا أنه لم يشر على
الإطلاق، في استهلال الحديث معها إلى ما يشتم منه إدراكه
لهذا الماضي، ذلك لأنه لا يريد أن يجابه فيها لأول مرة غريزة

الدفاع عن النفس، ولأنه يعلم أن الحياء البشري قد ينقلب
عنادًا إذا أصررنا على مبادئه بالهجوم والتحدي، على أن
ذلك لا يعني إهماله. أن يضع أصبعه على موطن الداء، لقد
فعل، ولكن بعد أن اكتسب سمعها وشعورها، لقد أثار المسيح
في السامرية أموراً ثلاثة:

أثار ذاتيتها وكيانها: هي امرأة فقيرة ضعيفة، تعودت دائماً
أن تؤمر فتطيع، وقد أضحت في نظر الناس من سقط المتاع،
ولكن هو لما جاءها أشعرها بكيانها وذاتيتها حين طلب منها
ليشرب، وكأنما يقول لها إنه وهو متعب محتاج عطشان يلتبس
معوتها إذا تكلمت وتلطفت بهذه المعونة، وبذلك رفع
شخصيتها التي وطأتها الأقدام، وأعان نفسها الذليلة على

الانتصاب والوقوف إنه لم ينظر إليها من علو باحتقار كما تعودنا
نحن كثيرًا أن ننظر بروح الكبرياء إلى الضعفاء والمساكين
والساقطين والبؤساء، . . السيد المسيح يعلم كل خادم بل كل
إنسان أنه أكثر ما يؤثر في الإنسان هو احترامك وتقديرك
لشخصيته، ويبين أن كل إنسان به جوع إلى اعتراف الآخرين
بذاتيته واحترامها، وقد يتظاهر كثيرون باحترام غيرهم تحت
دوافع التملق والرياء والمصانعة والمداهنة، ولكن المسيح وحده
عرف قيمة النفس البشرية، فذكرها واحترمها ومات من
أجلها، ومهما بدت أمامه هذه النفس في ثوب الفقر أو الغنى،
أو القوة أو الضعف، أو الذكاء أو البساطة، أو الاتساع أو
الضييق، فهي عزيزة كريمة رائعة في عيني من أبرأها واقتداها،

ولذا لا عجب أن يري المسيح في السامرية الشخصية التي لها
عنده كل تقدير واهتمام وعطف !! .

أثار دهشتها وتعجبها: أنها لم تعجب منه فقط لأنه وهو

يهودي طلب منها ليشرب، لكنها ذهلت ودهشت لأن المحتاج
يستطيع أن يعطي، فلئن قدمت له ماء يروي إلى ساعات، فانه
يستطيع أن يقدم لها ماء من يشرب منه لا يعطش إلى الأبد،
لقد بين لها أن حاجته في الواقع إليها أن هي إلا امتياز يضيفه
عليها، وأن سؤاله لها إن هو إلا تفضل من محبته أكثر منه من
العوز إلى معونتها، على أنها عجبت له أكثر حين رآته ينفذ
بعينه القويتين الحادثين إلى ما وراء الستار، فيكشف لها
ماضيها وحاضرها، كشفاً دقيقاً رقيقاً معاً ! . إن القصة

أمامنا ترينا أن إعجابها به كان دائماً في صعود، ألم تره إنساناً،
فنياً، فالمسيا، ولقد برز إعجابها واضحاً جلياً حين نسيت
المقصد الأول الذي جاءت من أجله، إذ تركت جرتها عند
البئر لتنادي أهل بلدتها وشعبها لرؤية هذا الشخص العجيب.

هل نستطيع أن نوقظ في الخاطيء والشرير مثل هذا الالتباه
والإعجاب، هل نستطيع أن نثير فكره وشعوره وعاطفته، إن
استطعنا لا أقول عبثاً أننا في الطريق إلى جذبه واكتسابه.

أثار ضعفها وحاجتها: عندما طلبت منه المعونة والري، وضع

يده برفق على نقطة ضعفها، وكامرأة ضعيفة حاولت أن

تهرب بالقول: «أرى أنك نبي، آباءنا سجدوا» وقد كان

المسيح كريماً إذ سار معها في هروبها، ولم يوقفها طويلاً أمام
ذلتها وخطيئتها بعد أن أحست بها، على أنها لدهشتها، نقلها
دون أن تدري، من خطيئتها إلى الله بالقول: «لأن الأب طالب
مثل هؤلاء الساجدين له» . . وأمام الله حاولت لآخر مرة أن
تراجع بتأجيلها كل شيء حتى يأتي المسيا، على أنه أوصد
أمامها سبيل الحرب والإفلات بالقول: «أنا الذي أكلتك هو»
. . . ليتنا تعلم هذه الحكمة العجيبة حتى ينطبق علينا القول:
«لأن راجح النفوس حكيم» .

عندما قال لها الرب يسوع: «يَا امْرَأَةُ صَدِّقْنِي أَنَّهُ تَأْتِي
سَاعَةٌ . . »

كان موقف السيد المسيح دقيقاً وحكيماً . فمن جهة لا يريد
- ولا يقدر - أن ينكر الحق . ومن الجهة الأخرى لا يريد أن
يعثر هذه النفس الحساسة الراغبة في الحق . وفي دقة موقفه
هذا قدم جواباً بالغاً حد الكمال، مرتقياً فوق الحزازات
الجنسية، والمباحكات الكلامية . كان سؤال المرأة قاصراً على
طلب تعيين مكان العبادة . وبكل حكمة، رفع المسيح قلبها من
التفكير في العبادة بوجه عام، إلى التأمل في حقيقة المعبود
وطبيعة "الآب" .

مقابلة السيد المسيح وحواره مع السامرية كان هدفها الإقناع
وليس المجادلة والمناقشة الهدامة ولا تصدر فيها تعليمات لأن
المطلوب أن يكون الإقناع من الداخل ويترك الحرية للإنسان
(مبدأ الاختيار) أن يختار ما يناسبه .

حينما تقابل السيد المسيح مع السامرية لم يتكلم معها عن
خطيئتها أولاً ولكنه استمع إليها ومدحها وتكلم معها عن البر
والماء وحينما استجابت للحديث كلمها عن خطيئتها وجعلها
هي التي تقول وتعترف بما تفعله وتركت جرتها وخطيئتها
واخذت القرار بالتبشير بالسيد المسيح.

لكي تهيم إنسان بقبول الإقناع عليك بالآتي :

بناء علاقة وجدانية من الأشياء المهمة في علاقة الخادم مع
المخدوم أي الاهتمام بالشخص وذلك حتي من خلال أموره
المادية . السيد المسيح استغل حاجة السامرية للماء كمدخل
لخلاص نفسها .

كذلك السيد المسيح بحكمته استغل حب استطلاعها
فاستخدم طريقة السؤال " لو كنت تعلمين " . وهنا تعلم
درساً هاماً هو أن توجيه الأسئلة التي تثير حب الاستطلاع
هام جداً في ربح النفوس . فعلى راجع النفوس أن يثير حب
المعرفة في النفس التي يريد ربحها للمسيح لتفتح لسماع كلامه .
وعلى راجع النفوس أن يثير الشوق في النفس التي يتعامل معها
لتطلب ماء الحياة الأبدية بتعظيم قيمة خلاص الله . . . الذي
يحمي الفجران، والسلام، والفرح، والحياة الأبدية .
الخادم الحكيم عله أن يتعلم من السيد المسيح مهارة الإقناع
،مهارة الإقناع تعني الحوار وتعني مقابلة مع الإنسان ليتعرف على
ذاته ومشكلته ويعترف بأنها مشكلة ويبحث لها عن حل
وتهدف إلى استثارة أو زيادة الدافع الداخلي للإنسان نحو

التغيير لكي يكون التغيير نابعاً من داخل الإنسان وليس مفروضاً عليه.

رابعاً : خادم رغم الحواجز

نرى في لقاء المسيح مع السامرية مثالاً حياً للقاء المسيح مع الإنسان، أي إنسان؛ إذ نرى في هذا اللقاء أحضان الله المفتوحة لكل إنسان مهما كان أصله أو جنسه أو حياته. لقاء نرى فيه ممارسة عملية لمحبة الله لكل العالم. المحبة التي تبذل، والمحبة التي تتخطى كل الحدود وتكسر كل القيود من أجل خلاص الإنسان. لقاء حطّم كل الحواجز التي تمنع أي إنسان من الوصول إلى الله.

كانت هناك عدة حواجز تقف حائلاً أمام ربح السامرية ولكن
الرب حطم بمحبته وحكمته هذه الحواجز . وراج النفوس
ينبغي أن يعمل مدفوعاً بمحبته للنفوس الهالكة، وينبغي أن
يكون حكيماً في تعامله مع البعيدين . لقد وقفت عدة حواجز
أمام ربح السامرية تلخص في :

1 - حاجز التعصب:

كان السامريون متعصبين ضد اليهود، كما كان اليهود متعصبين
ضد السامريين . وكان تعصب السامريين معروفاً حتى أنهم
رفضوا مراراً أن يقبلوا المسيح، حتى قال يعقوب ويوحنا للمسيح
"يا رب أتريد أن نطلب أن تنزل نار من السماء وتأكلهم"

هذا ما قاله السامرية في البداية "لأن اليهود لا يعاملون
السامريين" (يوحنا 4: 9). ولكن السيد المسيح تخطي هذا
العائق وبدلاً من عرض الأخذ ، عرض عليها العطاء وبدلاً من
الماء الذي يعطش شاربه وعدّها بالماء الحي .

2- حاجز الدين:

كان السامريون يعبدون بكيفية تختلف كل الاختلاف عن
الكيفية التي يعبد بها اليهود . كانوا لا يؤمنون إلا بكتب موسى ،
ويعبدون في هيكل منافس لهيكل أورشليم كما قالت السامرية
للمسيح "آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون أن في

أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه" (يوحنا 4:
20).

وقد حطم يسوع بحكمته هذا الحاجز المنيع .

3- حاجز الجنسية .

اعتبر اليهود السامريين أنهم غرباء، حتى أن الرب يسوع نفسه
بعد أن شفى الرجال العشرة البرص، ورجع واحد منهم كان
سامرياً ليشكره. قال "ألم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير
هذا الغريب الجنس. . ." (لوقا 17: 18). وعندما أرادوا أن
يستهزأوا من تعليم السيد قالوا له "السنا نقول حسناً أنك
سامري وبك شيطان (يو 8 : 48). والسيد المسيح نفسه

قال لتلاميذه " إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا
تدخلوا " (مت 10: 5)

ولنفس السبب أتى لهم السيد المسيح بمثل السامري الصالح
علي أساس أنه غريب وعدو لليهود

لكن الرب لم يمنعه هذا الحاجز من الحديث إلى نفس ضائعة
هالكة. لقد تحدث الرب إلى السامرية معلناً أن هذه مشيئة
الآب. أن يريح البعيدين. وقد قال هذه الكلمات صريحة
للتلاميذ حينما دعوه لياكل معهم "قال لهم يسوع طعامي أن
أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتم عمله" (يوحنا 4: 34).

السيد المسيح لا يُصنّف، لا يُضيق الوقت في الاحتزاب مع هذا ضد ذاك أو مع ذاك ضد هذا، فهو لا يؤمن بالأحزاب ولا يرى داعياً لها، هو يحب الاتحاد والوحدة "فليكنوا بأجمعهم واحداً" ، هكذا ينبغي أن يكون عليه الخدام .

4 - حاجز الجنس: فهي امرأة، والمرأة في نظر اليهودي هي جنس أقل كرامة من الرجل ولم يكن أمراً مقبولاً أن يُشاهد فريسيّ أو ناموسي يتكلم مع امرأة علانية حتى لو كانت هذه المرأة هي زوجته أو أخته.

5 - حاجز الخطية: السامرية بالإضافة إلى أنها امرأة ثم كانت امرأة خاطئة وسيرتها النجسة حرمت عليها أن تختلط حتى

بأهل المدينة التي تسكنها مما جعلها تذهب إلى البر الذي يبعد
حوالي نصف ميل عن البلدة مع أنه كان هناك آبار أخرى داخل
المدينة يستقي منها أهل البلدة، ولكنها ذهبت وحيدة في
وسط النهار لتستقي ماءً على غير المألوف، إذ كانت النسوة
يذهبن عادة في الصباح أو المساء ويذهبن في جماعات. كل
هذا لكي تتحاشى أن تقابل أهل المدينة الذين يزرون بها من
أجل سيرتها غير الطيبة.

نحن كخداما ننتظرنا الربّ عند برّ حياتنا هل نخجل أن نأتي
إليه ، تُري ما هي العوائق التي تمنعني من لقاء يسوع المسيح ، ما
هي نوعيّة عبادتي لله اليوم ؟ فولكلور وإجتماعيّات ؟ أم عبادة
بالروح والحق ؟

هل أبشّر به كما فعلت المرأة السامرية، التي تركت جرّتها

الأرضيّة لكي تبشّر بنبع الحياة الأبدية؟

خامساً : خادم متواضع .

يظهر تواضع السيد المسيح كخادم من بداية الاصحاح

"فلما علموا الرب أن أفريسيين سمعوا

أنيسوع يصير ويعد تلاميذ أكثر من يوحنا" . إن في انتقال الرب في

هذه الظروف من اليهودية إلى الجليل دلالة على توضّحية جليّة

وحكمة بالغة . أما التوضّحية فلأنه لم يرد أن يطيل المكوث على

مقرّة من يوحنا المعمدان ليوسع المجال لخدمته مخافة أن تتضاءل

أمام خدمة الفادي .

كما أنه ترك اليهودية لأن اليهود طلبوا أن يقتلوه هذا
تواضعاً منه وهو ملك الملوك .

السيد المسيح في تواضع كان يمارس رحلاته مشياً
على قدميه، ولم يكن لديه مركبة ولا دابة يمتطيها .

تواضع السيد المسيح كخادم يظهر في جلوسه هكذا علي البئر
، وكلمة هكذا توضح أنه لم يهتم بمكان الجلوس أو كيفيته
، فالخادم يخدم الجميع في كل مكان سواء كان هذا الموضع أو
هذا الشخص فقير أو غني ، حقير أو عظيم .

ويلق القديس يوحنا ذهبي الفم علي ذلك قائلاً " فماذا يعني
الإنجيلي بـ "جلس هكذا على" ؟ لم يجلس فوق العرش، ولا
حتى فوق وسادة، لكن مجرد أنه جلس هكذا فوق التراب "

تواضع السيد المسيح يظهر في طلبه واحتياجه من المرأة ماء
ليشرب ،أن يتواضعا لخدم أو أي إنسان أن يجعل نفسه مديناً
للآخر، محتاجاً إليه، قد يكون أسلوباً ليفتح الآخر قلبه له .
أفضل طريقة لدخول إلى قلب الآخر هو أن نكون أصغر، أكثر
تواضعا وأكثر انفتاحا .

علي كل خادم في تعامله مع أي نفس أن يحذر التعالي . . بل
يرفع من مستوى من يتحدث إليه إلى مستوى من يستطيع تقديم
خدمة له .

السيد المسيح هو ماء الحياة . لكنه يطلب منا دوما أن نعطيه
أي شيء من حياتنا ، يريدنا أن نسعى وراءه ، إنه عطشان لحبنا
البشري ، إنه قريب منا ومتواضع ويسألنا أن نحبه .

يجيب على حبنا الصغير والفقير بحب أكبر ولا متناهي : "لو
كنت تعرفين عطية الله ومن الذي قال لك أعطيني لأشرب .
لكنت تسألينه فيعطيك ماء حيا .

تواضع المسيح يظهر أيضاً عندما نسب زرع بذرة الإيمان للمرأة
السامرية والحصاد للتلاميذ الذي دخلوا علي تعبها ، مع أن
الفضل كل الفضل يرجع للسيد المسيح الذي استخدم تلك
السامرية رغم ماضيها وأشرك تلاميذه في خدمته رغم
بساطتهم .

السيد المسيح دائماً يختار ويعمل مع الخادم المتواضع وعندما
يري أماته واتضاعه في الخدمة سوف ينسب له كل الثمار من
الزراع للحصاد .

سادساً : يخلص علي كل حال قوم

ما أثنى فئات الوقت المتساقط عند قدمي المسيح .
فمن كل لحظة ذاهبة يقتنص فرصة من ذهب لأن راحته في
خدمته وخدمته في راحته .

السيد المسيح لم يخل أيضاً على طالبيه الأتقياء المعادين
لجنسيته بل وهبهم يومين من أيامه المحدودات على الأرض . لا
بل أعطاهم حياته كلها إذ قدمها على الصليب .

السيد المسيح مثال للخادم الذي يجب عليه ألا يضيع وقتاً ولو
بسيطاً حتي إن كان في سفر ، المسؤوليات أيضاً لا تشغله عن
خلاص النفوس المحتاجة مهما كان ضعف أو بُعد هذه النفوس

سابعاً : خادم مشجع

عندما أجابت السامرية السيد المسيح "ليس لي زوج" (يوحنا 4: 17).

نري السيد المسيح قد أمسك بيدها برفق مشجعاً إياها على الاعتراف الكامل بخطيتها فقال: "حسناً قلت ليس لي زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك هذا قلت بالصدق" (يوحنا 4: 17 و18).

ما أكثر حنان الرب، لقد رأى في هذه المرأة الساقطة ناحية منيرة "هذا قلت بالصدق" ومدح هذه الناحية، وهكذا قادها إلى الاعتراف بخطيتها .

ليتنا نتعلم من السيد المسيح كما من خادمه بولس الرسول
الذي يقول " شجعوا صغار النفوس اسندوا الضعفاء تأنوا على
الجميع (1 تس 5 : 14)

ثامناً : خادم شخصيته قوية

رغم محبة السيد المسيح وتواضعه إلا أنه دائماً يعلمنا كخدام
عدم التهاون بشروط الدين ،السيد المسيح لم يقدم عطية الروح
القدس لهذه المرأة دون أن تواجه المرأة مع خطاياها ، التي
صارت الفاصل بينها وبين الرب ■ لذلك قادها بالحديث أن
تدعوزوجها ايضاً لكي يشرب معها هذه المياه .

وعندما أجابته ليس لي زوج لم يتردد في استخدام مشروط

الطبيب لكي يفتح قلبها ويخرج منه الصديد .

كذلك عندما سأله عن مكان السجود ورغم رفع الأمور إلي

مستوي الروح لكن السيد المسيح لم يتردد في قول الحقيقة رغم

دخولها في صميم العقيدة ، ولكن بعد كسب ثقتها وليس من

البداية ، ليتنا كخدام تكون لنا الشخصية القوية مع الأسلوب

الراقي .

ليتنا نكون لنا شخصية الخادم القوية التي ترفع المخدم إلي

مستوي الروح لا أن يشده المخدم إلي مستوي الجسد .

عزيزي الخادم اعلم أن لم يترك الخادم كما المخدم جرتة أي
أهوائه وشهواته سوف تعطله الجرة عن المسير في الطريق
لذلك السامرة تركت جرتها لأنها لم ترد أن تعوقها الجرة عن
الإسراع نحو المدينة لتشهد للحق .

السيد المسيح هو الإله، ولا يرضى أن نبنى علاقتنا به على
"الغلط"، هو ليس بمتزمتٍ قاسٍ محاسبٍ، وليس هو بمنقّم .
وكما أن كل أعماله في النور كذلك يريد من كل من يختاره له
رباً، أن يكون في النور . هكذا كان وها هو الآن وسيبقى هو
هو لم ولن يتغير، فهل نمشي اليوم من الطريق لنلاقيه عند بئر
ذاتنا العميقة حيث ينتظر؟

وإذ وصلنا هل نعرف إلام نحن عطاش، وما هي حاجتنا

الملحة؟

فضائل السامرية

**تكلّمنا في المقدمة عن أنه كيف كان
للسامرية من فضائل وصفات شخصية كانت
سبباً رئيسياً في توبتها وهذه الفضائل يمكن
أن نوجزها في الآتي :**

أولاً : خجل مع كسوف .

يوجد أناس كثيرين تفعل الشر وتفتخر به وينطبق عليهم قول
الكتاب المقدس "يشربون الإثم كالماء" ، ويمكن أن يعتبروا شرهم
وخطيتهم نوع من الذكاء أو الشطارة .

علي عكس السامرية التي كانت تعلم ضعفاتها وخطاياها لذلك

كانت تخجل من الناس لذلك كانت تختار وقت لا يكون فيه
أحد هو وقت الظهيرة . وقت تزداد فيه حرارة الجو ويندر وجود
أناس في الشوارع ومن هنا يمكننا أن نستنتج خجل السامرية
من مواجهة الناس .

وذلك مطلوب منا أن نخجل من الله لأجل خطايانا . لأنه إذا
وصل الإنسان للخجل والكسوف من الله لا يمكنه أن
يرتكب الخطية . وعليه أيضا أن يخجل من أب إعترافه ومن
نفسه ومن كل من يشعر بخطأه .

هذه مرحلة توصل إلى ترك الخطية ، ولكن الإنسان من الطبيعي
ان افتخر بخطيته سوف يتمادى فيها . لذا نرى السامرية
عندها خجل وحياء من حياتها الخاطئة .

ثانياً : تواضع ممدوح .

بمجرد أن رآها السيد المسيح سألها سؤال أعطينى ماء
لأشرب قبل ما ترد وتكلما أحببت أن توضح جنسها الخاطئ .
وكيف أن اليهود لا يعاملون السامريين .

السامرية ربما فكرت أن يكون السيد المسيح ليس على علم
بأنها منالسامرة . أو أنه افكر إنها إنسانة تسكن بالقرب من
السامرة ، نتيجة لتفكيرها بذلك أرادت بتواضع أن توضح له
أنها الإنسانة السامرية التي يخشي اليهود التعامل معها ، حتى لا
تغضب بعد ذلك نتيجة تعامله معها .

تخيل أن هذا لا يحدث لو أن مجموعة من الناس حكم عليه
بأنهم أشرار ولا يجب أن يتعامل معهم أحد حيث ينجبل أن
يتعامل معهم الناس . وإذا تحدث أحد معاًحد من هؤلاء وهو
لا يعلم حقيقة . فيكون هذا إتضاع كبير منه أن يذكره بأنه
مناحكوم عليهم بأنه من الأشرار .

وهذا اعتراف بالخطأ وبمكاته وموقفه وموقفاًللمجتمع منه، وذلك
من النادر أن يفعله الكثيرون .

أحياناً عندما يكون الشخص من بلد صغيرة ينجبل أن يقول أنه
من نفس تلك البلد أو تلك المدينة . وأحياناً ينجبل الشخص أن
يقول حقيقة لو كان يشعر أنه من أسرة غير غنية أو مركزها فى
المجتمع أقل من عائلات أخرى ويحاول أن يتهرب، لأنه لا يريد

أنذكر شيء فيه ضعف أو يظهر أمام الناس بالضعف . لكن
السامرية قوية قبل ما تطلب منها خبرته بحقيقتها وهذه هي
إحدى الفضائل القوية فالسيد المسيح رد عليها رد كي
يختبرها به فهو طلب منها أن تمنحه ماء ليشرب ويقول لها لو
علمت الذي يكلمك لطلبت انت منهما ماء حيا لكي يرى ما هو
رد فعلها وكيف يكون .

كذلك السامرية لتواضعها قالت للسيد المسيح أن " اليهود لا
يعاملون السامريين " لم تقول العكس " السامريين لا يعاملون
اليهود " وهذا يدل علي تواضعها وسعة أفقها .

كما لا ننسى أن نوه إنها عندما خاطبت السيد المسيح قالت
له " يا سيد لا دلوك " وهذا أيضاً يدل علي تواضعها
واحترامها للآخرين رغم الاختلاف .

ثالثاً : وداعتم حكمة وهدوء

بمنتهى البساطة لو أحد قال لك أعطني ماء من دون سابق
معرفة ، ثم يقول لك أنا أملك ماء أفضل من الذي تملكه . فمن
المؤكد سوف تصاب بالدهشة وتساءل لماذا إذن تطلب مني
طالما أنتملك هذا رد الفعل الطبيعي لأي شخص ، كان يمكنها
أن تتوقع وتقول له: لو كان لديك ماءً حياً فلماذا تطلب مني
ماءً ؟ أو كان يمكنك أن تعطي نفسك، إلا أنها ردت باعتدال

منذ البداية . كان ردها بمنتهى الحكمة دون ألتثور أو تقضب
فقلت له ليت توضح لى المياه كيف يكون عندك ماء وانا لا
أرى وعاء تجلبفيه الماء بمنتهى الهدوء وهذا يعلمنا الا نفقد
أعصابنا عندما يثيرنا إنسان بسؤال .

فترى هنا أن السيد المسيح فاحص القلوب والكلى شعر انها
جوهرة وبهذا الوداعة قد كسبت قلب الرب .

على أن اليهود لم يكونوا في مثل وداعة السامرية، فبالرغم من أنه
تحدث إليهم عن ذات الموضوع وكلهم عن هذا الماء، لكنهم لم
يحصلوا على أية فائدة . وعندما ذكر لهم إبراهيم كانوا يريدون
قتله " يو8: 37 " .

لكن السامرية لم تصرف معه على هذا النحو، بل تعاملت معه
بوداعة شديدة رغم الجو الحارق كذلك السيد المسيح. فبينما
كان النهار في منتصفه، كان يقول ويسمع كل شيء بصبر كبير.
أرجو أن تقارن هذا الموقف، بالموقف الذي اتخذته اليهود. كان
يمكنها أن تقول مثلهم: إنه مجنون، وقد فقد عقله، ويخدعني بأن
لديه برٍّ ومناجح دون أن يعطيني شيئاً، وأنه يتكلم كلاماً كبيراً
أجوفاً. أمّا المرأة السامرية، فكانت صبورة وسمعت باتباه
حتى كشف لها ما يريد.

فإن كانت السامرية قد أظهرت استعداداً لتعرف شيئاً مفيداً،
وقد آمنت بالمسيح، بالرغم من أنها لم تعرفه، فأني غفران ناله

نحن الذين عرفناه وتمتعنا بمحبته ورحمته ومع ذلك ليس لدينا

صبرٌ لنسمع أقواله، بل نستسلم للجمود والخمول !! !

لم تصرف السامرية مثلنا، لكنها كانت تنصت لأقواله وتسمعها

بحرص، حتى أنها دعت الآخرين . بعكس اليهود الذين لم

يكتفوا . فقط . بعدم دعوتهم لآخرين، بل أعاقوا حتى أولئك

الذين أرادوا أن يأتوا إليه .

رابعاً : إصغاء للمكتوب

عندما بدأ السيد المسيح يوضح للمرأة السامرية عن الماء الحي

وعن عمل الروح القدس بدأت تسمع بإصغاء حيث أنها لم

تكتمتعجلة لكي ترحل بسرعة قبل أن يراها أحد، فعندما

أحست أنها كلمات نعمة فقالت من الممكن أن أسمع وهذا
تدريب لنا حيث لا نجعل هموم العالم واحتياجاتنا تطفئ علي
الانعطى للروح فرصتها من أن تسمع كلام الروح..... فنحن
لا نأخذ من الدنيا شيئاً فالكليسى فى شقاء والنهائة واحدة
لا تتغير يقول أحد الآباء تعبير جميل "الإنسانيهم بلا هم" .

خامساً : تدرج مطلوب

يمتاز إيمان المرأة السامرية وتبعتها بفضيلة التدرج المطلوبة وهذه
هي الدرجات التي ارتقى عليها إيمان السامرية بالمسيح: فمن
اعتقادها بأنه مجرد شخص يهودي عدد 9 ، إلى قولها له "يا

سيد" عدد 11 ، إلى تصريحها له بأنه "نبي" عدد 19، إلى
إيمانها بأنه هو المسيح عدد 29.

لقاء السامريّة بالمسيح هو مثال لتدرّج معرفة الإنسان بالسيد
المسيح. ويبدو أنّ معرفة الله تترافق مع معرفة الذات،
والعكس بالعكس، فإنّ معرفة الذات تتحقّق على ضوء
معرفتنا بالله.

بينما كانت السامريّة عند البئر تطلب ماءً لتستقي الثقت
بيسوع، هناك عند همومها المادّية، لم يكن بإمكانها أن تتوقعه
إلاّ مجرد إنسان يهوديّ. فناداته: "كيف تطلب مني لشرب"؟

فكلمها يسوع عن "ماء حي"، من يشربه لا يعطش إلى الأبد
. وقادها هذا الكلام إلى الأبديات وإلى تأمل ديني فنادته "هل
أنت أعظم من يعقوب"؟

من هذا الحوار الديني قادها الرب إلى ذاتها فسألها عن حياتها
الشخصية . هناك عندما مسّ الكلام الحياة والقلب صار يسوع
لها بمثابة "نبي"

من هذه اللغة الحياتية كلمها الرب عن دين عبادة بالروح وليس
بالحرف، عن الدين كحرية، عن ملء للقلب البشري لا يرتاح
الإنسان إلا إليه . عندها ذكرها هذا الحوار "بمسيّا" المنتظر،

فأخبرها يسوع : "أنا الذي أكلّمك هو". هنا صار الرب
بالنسبة لها الإله المخلص.

هكذا تدرجت السامريّة في معرفة الربّ بمقدار تدرّجها بمعرفة
ذاتها . فحين كانت تنظر من حاجاتها المادّية رأته يهودياً، ولما
راحت تجول في عالم الدين ظنّته أعظم من يعقوب، ولما تعالت
إلى الخبرات الروحيّة ومعرفة الذات والاعتراف بحقيقتها رأته
نبيّاً . وبعدها لما وصلت إلى العبادة بالروح والحق وإلى حرّية
الإيمان أدركته الإله المخلص.

سادساً : صدق مشهود

عندما أراد السيد المسيح أن يظهر فضائل المرأة السامرية أكثر

فأكثر قال لها "أذهبي وأدعي زوجك وتعالى إلى ههنا" ولكنها
قالت إن الذى عندى ليس بزوجهى وكانت أمينة فى
إعترافاتها .

مطلوب منا نحن أولاد الله أن نكون أقوياء فى إعترافنا بالخطأ
فأحياناً الإنسان يعترف ويحاول أن يغلف الخطية لأب إعترافه
حتى لا تظهر أنها خطية . ويظل يلف ويدور حتى لا يقولها كما
هي كأنه بذلك يضحك على نفسه ويكذب على الروح القدس
 . مثل هذا الإنسان يظن أنه أعترف رغم أنه لم يعطي صورة
دقيقة و أمينة لأب اعترافه مما ينتج عن ذلك صعوبة شفائه .
عكس ذلك فعلت المرأة السامرية فهي بمنتهى الشجاعة عندما
قال لها السيد المسيح "أدعي زوجك" . قالت له " ليس لى

زوج " يا ليت يكون هذا درس تعلمه من السامرية التي كانت
في نظر كل الناس أشر إنسانة فى الوجود وبسبب اعترافها
وتوبتها شهد عنها السيد المسيح بأنها أصدق إنسانة .

سابعاً : معرفة بتاريخ الآباء

فضيلة أخرى ظهرت فى حياة السامرية وهي انه كان لها
معرفة بتاريخ آباؤها وبالكتاب المقدس فعندما قال لها أنا عندى
ماء حى فقلت له علي الفور قصة البئر وأن هذا بئر أبونا
يعقوب ونحن نحب هذا البئر بتاريخه وماضيه فهي متمسكة
بتاريخ وعمرات آباؤها .

نرى بوضوح أنه كان للسامرية معرفة دينية سابقة، كما أنها في حديثها مع يسوع أظهرت أن لها مركزاً دينياً، إذ جعلت نفسها ضمن أولاد يعقوب: «أعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا هذه البر؟» «كما كان لها مشكلة دينية حول مكان العبادة. وكانت تضر في نفسها رجاءاً دينياً حيث قالت : «أنا أعلم أن مسياً الذي يُقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك يجبرنا بكل شيء».

ونحن نحتاج الى ذلك جداً هذه الأيام . فعلى الإنسان أن يتمسك بميراث آباءه من الإيمان ومن الحياة مع الله ، هذه المعرفة أيضاً جعلت السيد المسيح يزداد في عطايها لها عندها أشياء وكلمات روح عندها معرفة عندها فضائل كل هذا الاشياء

جعلت السيد المسيح ينسى أخطائها وماضيها وقد بدأت
تسمع هى لصوت الرب.

ثامناً : اعترافاً مغفور

الاعتراف برز في قولها لأهل السامرة «قال لي كل ما
فعلت» . . . أنها لا تخشى أن تتحدث بماضيها، وهذا هو
الأمر الأول الحقيقي لكل توبة، بل البرهان الأكيد على صدقها
، إنها اعترفت بخطيئتها كما اعترف داود النبي عندما قال
«إليك وحدك أخطأت» ، وهكذا فعل الابن الضال
«أخطأت إلى السماء وقدامك» هذا صوت الابن الضال بعد
أن رجع إلى نفسه . . . وبولس الرسول أيضاً «صادقة هي

الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم
ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» هذا قول الرسول بولس الذي
بلغ أعلى مراتب القداسة بين البشر . هكذا فعل القديس
أغسطسوس في كتاب اعترافاته .

ما أحلي وما أجمل أن يظل الإنسان التائب شاعراً ومعتزلاً
بخطيئته وأنه ورغم حل الأب الكاهن له في حضور الروح
القدس ورغم نسيان الله لخطيئته إلا أن شعوره واعترافه
بخطيئته وضعفه علي الدوام سوف يكون سوراً حصيناً ومانعاً
وسيكون سبباً كبيراً في استدراك مراحم الله وعونه .

تاسعاً : إيمان مع رجاء

لقد أعلن السيد المسيح ذاته للسامرية وهي من ضمن
الأشخاص المحدودين الذي أعلن لهم المسيح ذاته لما
للسامريتين فضائل وحب للعشرة مع الله . على الرغم من أنها
كانت تحيا فى الخطية فقال لها يسوع " أنا الذى أكلتك هو " ،
وللوقت أمنت أنه هو المسيح المنتظر بإيمان قوى ، ولم نري هل
آمن أحد بالسيد المسيح بهذه السرعة ، فتلاميذ المخلص الذين
رأوا معجزاته ورأوا أحياناً قوة لاهوته فى بعض من الأحيان
ضعفوا وشكوا لكن إيمان هذه القديسة قوى حيث
كلما كلام الروح وأعلن لها ذاته انه المسيا . . . وطلبت منه

تلقائيا" ياسيد أعطى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا
لأستقى" عندها حب وإيمان قوى .

وعندما كشف لها السيد المسيح عن حياتها قائلاً " أنه كان
لك خمسة أزواج لكن الذى لك الآن ليس هو زوجك " ، هذه
العبارة جعلتها تزداد قوة فى الإيمان بالمخلص .

فالتلاميذ طالما قال لهم المخلص أشياء كثيرة جدا وكل واحد
منهم أخبره بحكاية لأحد يعرفها على الإطلاق ومع ذلك شكوا
أن الذى أمامهم هو المسيح فاحص القلوب والكلى وإيمانهم قد
ضعف فى فترة ما .

فقد تكون السامرية قصتها معروفة فى كل البلد وكان من الممكن
أن تقول له أنك تعرف قصتى فهى مشهورة ومعروفة لأغلب

الناس فى المدينة تلكمها آمنت بالمسيح إيمان قوى لهذا السيد
المسيح أعطاها أعظم بركة فى الوجود، أعطاها بركة الخدمة
والتبشير من أجل الرب فى السامرة .

هذا يجعلنا نرى أن هناك أناس كثيرة قد يحيا فى بُعد عن
الكنيسة لأن ظروفهم قد أوصلتهم الى ذلك لكن هؤلاء الناس لو
وجدوا من يقودهم الى الكنيسة لربما أصبحوا قديسين . فليتنا
عندما نرى أحد بعيد عن الكنيسة نشفق عليه فقد يستخدمنا
الرب من أجله .

يعلق القديس يوحنا ذهبي الفم على إيمان السامرية " لم تدع
واحدًا أو اثنين، كما فعل أندراوس وفيلبس، إنما دعت مدينة

بأكملها، وأتت بهم إلى الرب يسوع آمنت المرأة السامرية على الفور، وبذلك اتضح أنها أكثر حكمة من نيقوديموس، بل وأكثر شجاعة وثباتاً . لأن نيقوديموس بعد أن سمع قدر ما سمعت المرأة آلاف المرات لم يذهب ويدعو آخرين لسماع هذه الكلمات، ولا تحدث بصراحة على الملأ. لكن هذه المرأة فعلت ما لم يفعله الرسل، إذ قامت بالكراسة للجميع تدعوهم إلى المسيح . بذلك قادت مدينة بأكملها إلى الإيمان بيسوع "

عاشراً : اشتياق للسجود

نجد إشتياق السامرية القوي للحياة والعشرة مع الله ولكلمات النعمة في قولها " آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأتم تقولون أن

فى أورشللم الموضع الذى ىنبغى أن ىسجد فله "
 "أنا أعلم أن مسىا الذى ىقال له المسيح ىأتى . فمتى جاء ذاك
 ىختبرنا بكلمة"

كل هذه كلمات تدل على إنسان عنده رغبة قوية ان ىعش مع
 الرب .

حادى عشر : شهادة علنية

جانب آخر فى توبة السامرية وفضائلها ألا وهو الشهادة . لقد
 تركت جرتها وذهبت لتنادى بالمسيح ولعل أزواجها الأولين
 والشخص الذى كان ىعش معه بعض من خرجوا فى ذلك الوم
 من مينة سوخار لىروا هذا الشخص العجيب الذى حدثهم

عنه، لقد اختبرته هي فأرادت لغيرها أن يجتبروه، وارتوت منه
فأرادت ألا تحرم العطشى من ينابيع الخلاص .

ليتنا بعد توبتنا واعترافنا وتذوق محبة المسيح ورحمته ، ليتنا
نكون شهوداً صالحين له معترفين بحميله . شهوداً ليس بالقول
فقط بل بالفعل والفكر ، علي كل واحد منا تذوق محبة ورحمة
السيد المسيح أن يصنع ثماراً تليق بالتوبة لكي يري الناس
أعمالنا الصالحة فيمجدون أبانا الذي هو سر خلاصنا . علي
الأقل بعد تذوقنا كم الرب طيب لا نكون بعد ذلك سبب
تجديف علي اسمه القدوس .

السائرون في طريق التوبة وإن لم يكونوا مطالبين بالشهادة العلنية
والخدمة الجهارية لكن جميعنا مطالبين بأن نكون كازنين
صامتون بعبادتنا واتضاعنا وانسحاقنا . . .

علاقتنا بالسيد المسيح يجب أن تكون علي مستوى محبته لنا ،
نحبه فنشهد له ، نحبه فنكثر الكلام معه ، نحبه فنسمعه ،
نحبه فنرتمي دائماً في أحضانه .

وهذا ما تعلّمه المرأة السامرية لنا جميعاً: أن نكون منفتحين في
كل لحظة من الحياة، حتى عند انشغالنا بأبسط الأمور، لتلتقي
الكلمة الإلهية، لنستنير بالنور الإلهي، لتنتقى بطهارته، لنستقبله

في أعماق نفوسنا، نرحّب به بكلّ حياتنا، حتّى أن الذين يرون
ما صرنا إليه يؤمنون بأن النور أتى في العالم.

ثاني عشر : حماس شديد

لقد كانت المرأة السامرية مملوءة حماساً شديداً حتّى
أنّها تركت جرتها، ونسيت الأمر الضروري الذي أتى بها إلى
هذا المكان، وأسرعت إلى المدينة تدعو كل الشعب للمسيح
قائلةً: "هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت" (يو4:
28). لعلك تلاحظ استعدادها وفهمها. ينبغي علينا أن
نصير مثلها غيورين للأمور الروحية، ونحتقر كل الأمور المادية
وأنّ نقيم لها وزناً.

لقد فعلت هذه المرأة ما فعله الرسل بكل ما أوتيت
من قوة، بل وبجماس أعظم؛ لأن الرسل تركوا الشبَّاك، فقط
عندما دعاهم المسيح، أمّا هي، فبملاء إرادتها، ودون أن
يعلمها أحدٌ تركت جرتها واضطلعت بهذا العمل الرسولي،
وهي تطير فرحًا، وكأن أجنحةً قد نبَّت لها .

نحن نحتاج إلى حماس كبير وغيره شديدة؛ لأنه بدون ذلك لا
يمكننا أن نذوق الخيرات الموعودة لنا . وهذا هو ما أراد السيد
المسيح أن يؤكد عليه في إحدى المرات عندما قال: "ومن لا
يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني" (مت 10: 38) . وفي
مرة أخرى قال: "فكونوا اتم مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون
يأتي ابن الإنسان" (لو 12: 40) . بهذين القولين أراد أن

يوضح لنا ما ينبغي أن يكون عليه من يريد أن يكون تلميذاً
للمسيح من غيرة وحماس، واستعداد لتحمل الأخطار.

ثالث عشر : نموذج حي للخدمة

لقد أظهرت هذه القديسة النموذج الحى للخادم الناجح وكيف
تكون الخدمة .

لأنها أستطاعت أن تتلامس مع الرب دون أن يعلمها أحد .
عرفت معنى الخدمة الحقيقية كيف تكون .

ومشاكل الخدام والخدمة سببها أننا ننسى النقطتين اللتان بدأت
بهما السامرية وهما :

- على الخادم أن يتكل إتكال كامل على الله وينسى كل همومه

وأحزانه ويترك أموره المادية على الرب فإذا طغى سعيه
وراء الماديات فإن خدمته سوف تضعف فالسامرية من أجل
الخدمة ومن أجل التبشير بالمسيح نسي احتياجاتها المادية
فتركت جرتها ومضت الى المدينة .

- عمل الخادمان يوصل المخدمين الى يد المسيح فالسامرية
ذهبت للناس وقالت لهم "هلموا أنظروا إنسانا قال لى كل ما فعلت
... ألع هذا هو المسيح "، فقد أرادت أن توصلهم للمسيح
ولم ترغب فى شيء أكثر من ذلك ... وبالفعل ذهبوا وتقابلوا
مع المسيح ومكث معهم يومين فأمن به الكثير جدا بسبب كلامه
وقالوا للمرأة إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لأننا نحن قد
سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم ، القداسة

ظهرت منهم حيث عرقهم السامرية بالمسيح وقالوا لها فيما بعد
نحن رأينا المسيح وعشناه .

الخدمة الحقيقية أن توصلا لشخص للمسيح لكي تضمن كل
شئ فأحيانا يرغب الخادم في أن يمسك المخدم بيد
المسيح من جهة ويده هو الآخر وان يكون ذلك بنفس الدرجة
.

رابع عشر : توضيح مع شجاعة أدبية

بعد أن شبت المرأة السامرية من نهر الحياة، لم تبق بها حاجة
إلى استعمال الجرة، فتركها ومضت إلى المدينة، وقالت للناس:
"هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت".

إن السامرية بعملها هذا، قدمت خير دليل على:

(أ) تضحيتهما: "تركت جرتها" - كما ترك التلاميذ شبابهم.

(ب) غيرتها: "مضت" - إنها جرت بقدمين تسبقان الأجنحة

في السرعة.

(ج) شجاعتها ووطنيتها: "إلى المدينة". إننا لا نستطيع أن

نقدر شجاعة هذه المرأة، إلا متى ذكرنا تاريخها، وتقدير

أهليتها لها.

(د) رسالتها: لقد شعرت أن لها رسالة، فبلغتها إلى أهل

مدينتها أولاً. وأن شجاعتها هذه تتم عن وطنيتها الحقيقية.

(و) حكمتها: " إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلِّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟ ».

كما تكلمنا سابقاً حاولت السامرية أن تكلمهم عن المسيح مخافة أن تعجز عن محاجتهم لكنها رأت أن أفضل طريقة هي أن تحضرهم إليه لتواجههم به . لم ترغب في أن تكون هي "جرة" تحمل إليهم ماء الحياة بل أرادت أن تحضرهم إلى "النهر" ليشربوا بأنفسهم ويرتووا .

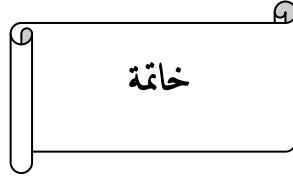
خامس عشر : ثمار إلهية

إن كان اسم المرأة السامرية لم يُعرف لكنها كانت مؤمنة مشمرة . لقد أتت بشمر كثير إذ آمن كثيرون بسببها ، وإلى الآن لازالت

تأتي بثمر كثير جدا لمجد الله، ولا يعرف أحد كم من الخطاة
أتوا إلى المخلص بسبب قصة وشهادة هذه المرأة .

لقد شهد السيد المسيح لهذه المرأة أنها هي التي زرعت
بشهادتها الإيمان لدى أهل السامرية والتلاميذ سوف يحصدون
ما قد زرعت .

ليتنا بتغيير حياتنا بالتوبة وظهور سمات السيد المسيح
وثمار الروح القدس في داخنا قبل تصرفاتنا نكون خير
شاهد للسيد المسيح ونكون سبب جذب نفوس كثيرة له
وللملكوت .



السيد المسيح يتعب لأجل خلاص نفس كل إنسان لأنه يحب الإنسان ولذته في بني البشر ويريد أن جميع الناس يخلصون وإلي معرفة الحق يقبلون وليس هناك حب أعظم أو تعب أوفر من الصليب .

الله لا يطلب فقط خلاص كل إنسان ولا يقف قارعاً فقط بل أنه تعب وامتلاً شعره من ندي الليل في انتظار استيقاظ عروسه التي هي كل نفس بشرية .

ليتنا نشفق علي تعب عريسنا السماوي ولا نشمت بنا
الأعداء الشياطين ، بل نفرح السماء والسمايين بتوبتنا واعترافنا
وذراعي عريسنا السماوي مفتوحان لنا باستمرار كما كان
مفتوحان علي خشبة الصليب يناديان علي كل إنسان من
يقبل إلي لا أخرجه خارجاً ومن يعطش فليقبل .

عطش يسوع : عطش السيد المسيح في قصة السامرة هو
عطش لخلاص النفس البشرية ، كما قال علي الصليب أنه
عطشان ، فهو ينادي البشرية جمعاء ويوح لها بعطشه إليها ،
إلى كل واحد منا لنعود إليه لأنه هو الراعي الصالح .

عطش السيد المسيح هو عطش لإرواء ظمأ النفس البشرية ،
تظل كل نفس بشرية عطشي مهما أرتوت من كل يتابع الدنيا ،

سواء أرتوت من ينبوع الشهوة ،أو ينبوع المادة ،أو ينبوع الشهرة

.

سبب عطش كل نفس بشرية هو اشتياقها لغير المحدود
،فالإنسان ليس جسداً فقط بل نفس وروح ،فكما يمكن
للجسد أن يشبع من تلك الأمور المادية الفانية ، لكن كلما شبع
الجسد عطشت الروح .

لقد قضى اغسطينوس فجر شبابه مستهتراً ماجناً يرتاد اماكن
الاثم والفجور وكان يبحث عن السعادة والارتواء ولم يجدها لا
فى الشهوة ولا فى الصداقة لا فى العلم ولا فى الفلسفة بل لم
يزده هذا الا عطشاً ويأساً تعاسة وبؤساً .

كل ينابيع الحياة المادية ما هي إلا آبار مشققة لا تضبط ماء كما
قال النبي ، وكل من يشرب منها يعطش أيضاً كما شهد السيد
المسيح ينبوع ماء الحياة .

لا يمكن ارتواء روح كل إنسان بعيداً عن السلام والفرح
الداخلي وبعيداً عن ينبوع ومصدر كل فرح وهو السيد المسيح
.

والذي لا يمكننا الاقتراب منه والارتواء من ينبوع محبته إلا بترك
الجرة التي هي خطايانا التي فصلنا عنه .

لا يمكن أن نرتوي بعيداً عن الاعتراف والتوبة ، وبعيداً عن دم
ابن الانسان لأنه لا يكون هناك سلام بعيداً عن الغفران .

دليلنا لذلك تلك المرأة السامرية رغم زواجها بالخمسة أزواج ،
ومهما حاولنا اشباع وارواء حواسنا الخمسة من أمور الدنيا
والعالم دون ينبوع ماء الحياة لا يمكننا ان نشبع أو نرتوي أو
نحصل علي راحة أو سلام .

من يشرب من ماء العالم يعطش أيضاً يعبر عن ذلك سليمان
النبي في سفر الجامعة "كُلُّ الْأَنْهَارِ تَجْرِي إِلَى الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ
لَيْسَ بِمَلَأَنَ . إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَرَتْ مِنْهُ الْأَنْهَارُ إِلَى هُنَاكَ
تَذْهَبُ رَاجِعَةً"

نحن نفتش أن نروي عطشنا ونرتوي من أمور مادية نمتلكها .
نركض وراء ملذاتنا ، أفكارنا ، الجمال والشعور البشري وما
زلنا نشعر بالعطش . لكن عندما يعطينا السيد المسيح حياته
توقف عن عذاب العطش . "أما من يشرب من الماء الذي

أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . "والأعجوبة تكون في أننا نصير نحن ينبوع ماء "الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"

الماء الذي يعطيه السيد المسيح هو روحه القدوس لا يرتوي به الجسد فقط لكن الروح أيضاً ترتوي من خلاله . ماء هذه الحياة يختص بهذه الأرض ، ولكن ماء الروح القدس يختص بالحياة الأبدية .

من أجل ذلك صوت الله مازال يرن في آذان كل نفس متعبة ويائسة وعطشانة وغير مستريحة ، وكل نفس ظلت تنهك وتتهل من الشهوات ومن اللذات لكي تشبع وترتوي لكنها وجدت نفسها بتجري وراء سراب ، هذا هو الذي يعمله الإنسان عندما يستمر يجرى ويلهث وراء اللذة ووراء الشهوة

ووراء المتعة ووراء الخطية لكي يستطيع أن يتلذذ ويشبع
ويرتوى ولكنه يجرى وراء سراب أو وهم ولذلك قال السيد
المسيح " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا "

سراب المتعة وسراب الغرور كل ما تشرب منها النفس تزداد
إزداءً للعطش وتعطش أكثر .

لو إستطعنا أن نعرف ونذكر ونختبر إمكانيات السيد المسيح
غير المحدودة، ليس فقط أنه يعطى أكثر مما نسأل أو نذكر أو
نفكر، ليس فقط يعطي ماء الذي يشرب منه لا يعطش لكن
الإنسان نفسه يتحول إلى ينبوع ينبع ماء حياة أبدية ليس فقط
أن الإنسان يشرب بل يكون قادراً أن يروى غيره ويتحول إلى
ينبوع يروى الآخرين، يمكننا أن نملك إمكانيات روحية لا

تخليها وذلك من خلال الإيمان والتوبة والرجوع للسيد المسيح
مع السؤال والطلب واللجاجة في الصلاة .

يمكننا أن نمك هذه الإمكانيات إذا تقابلنا مع السيد المسيح في
الصلاة وتركنا الجرة وجاهرنا باعترافنا من خلال سر التوبة
والاعتراف .

طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني : هذه الجملة لنا نحن ،
السيد المسيح ليس محتاجا لهذا الكلام ، إنما قال ذلك لكي
يعلمنا . ياليت كل شخص يقول شعاري أن أحيأ من أجله، الله
هو الذي خلقتني وأوجدني وخلصني ، طعامي أن أعمل بمشيئة
الذي أرسلني . . ليت كل إنسان يجعل طعامه ليس هو الأكل
والشرب المادي، لا . . . بل يكون له طعام آخر هو طعام الروح،
هو العمل بمشيئة الذي أوجده لينجز عمله" لاننا نحن عمله

مخلوقين في المسيح يسوع لآعمال صالحة قد سبق الله فاعدها
لكي نسلك فيها (اف 2 : 10)